القسم الأول

كيف نفهم الإنسان ؟

كيف نفهم الإنسان ؟

النفس (تعريف عام) :.
هي " جوهر الطبيعة الإنسانية ".
جوهر تحرزاً من الصفات العارضة.
الطبيعة تحرزاً من الصفات المصطنعة.
الإنسانية تحرزاً من الخروج عن موضوع التعريف.
وباعتبار كلمة جوهر يقوم معنى النفس :
بالروح : وهو النفس الحية.
والعقل : وهو النفس المميزة.
والقلب : وهو النفس الواعية.

*** * ***

تبين من المقدمة الإمكانية الضخمة التي تضمنها التصور الإسلامي لفهم الإنسان وكيف أن هذه الإمكانية ترتكز في النصوص الشرعية من ناحية وعلى الحاسة النفسية التي تقرأ بها هذه النصوص من ناحية أخرى..

ومن هنا يبدأ تحديد منهجية فهم الإنسان، وترتكز هذه المنهجية على عدة ركائز.

*** أولها : (الأسماء اللغوية) :-**

فهذا الفهم لا يتم إلا إذا اتفقنا على عدة مصطلحات وبعدة مستويات.
المستوى الأول : (الخلق) الاتفاق على اسم : آدم، البشر، الإنسان .
المستوى الثاني : (المضمون) الاتفاق على اسم : الروح، العقل، القلب.
المستوى الثالث : (القيمة) الاتفاق على اسم : النفس، الذات، الشخصية.

و هذه المستويات الثلاثة بما تتضمنه من أسماء هي التي تعطي الصورة الطبيعية

للنفس، أو الصورة التي وجدت عليها النفس بمزاياها ونقائصها.

المستوى الأول :

- أما اسم آدم فهو من الأديم، وهو الجلد، لأن آدم خلق من أديم الأرض أو جلدها أو قشرتها، ولخلق آدم من أديم الأرض معطيات جوهرية في فهمه، ومنه قول النبي إن الله خلق آدم من جميع الأرض فمنه السهل والحزن والأبيض والأسود "[1].

ومن هذا الحديث تثبت الفوارق الطبيعية بين الأفراد كما تثبت الجبلة الخاصة التي جبل عليها أي إنسان.

أما الإنسان، فهو إما من الإيناس بغيره من جنسه، أي يأنس بعضه ببعض، أو من النسيان وهما ثابتتان في الإنسان.
كما يثبت باسم (الإنسان) صفة ثالثة وهي الحركة، وهي من النوس كما في حديث (أم زرع) أناس من حلي أذني، أي : حرك.

أما البشر فهو من البشرة وهي أعلى جلدة الرأس والوجه والجسد، ومنه : اللون والرقة.
ومن معنى الرقة اشتقت مباشرة الرجل والمرأة.

المستوي الثاني :

والحقيقة الأولى في فهم الإنسان على المستوى الثاني أن الروح فيه هي الأصل، وأنها هي بدايته وهى نهايته

---

(1)[1] **[صحيح]** أخرجه الترمذي في (تفسير القرآن / بـ ومن سورة الأعراف / ح 2955) ، وابن حبان في (صحيحه / ج 14/ص 29 / ح 6160) من حديث أبي موسى الأشعري .
قال الترمذي : هذا حديث حسن صحيح .

وهي هو على وجه التحديد.
وأن الجسد فيه تجسيد وإظهار لحقيقته الروحية، وإثبات هذه الحقيقة هو أساس فهم الإنسان..
فالروح هي العقل المدرك لحقائق الربانية.
المقابل للمخ الجسماني (مجموع الخلايا النابضة).

والروح هي القلب؛ بمعنى : اللب الواعي للعقائد والصواب (المضغة التي إذا صلحت صلح الجسد كله).
المقابل للقلب (مضخة الدم).
و الروح هي الشخصية .

ألم يتميز داود وهو لم يزل بعد في عالم الذر حتى أعطاه آدم أربعين عاماً من عمره؟[1].
ألم يصف الحديث الروح بالطيبة والخبث، وكان وصفاً قائماً بها فقال رسول الله النبي في حديث قبض الروح من الجسد : " أيتها الروح الطيبة... أيتها الروح الخبيثة... "[2] الحديث.
ومعنى الروح هي الشخصية.. أنها تعني ضمنياً أن تكون هي العلاقة بين الإنسان وغيره.. والروح هي مصدر الفاعلية في مجموع هذه العلاقات البشرية .

ولذلك بين النبي أن "الأرواح جنود مجندة ما تعارف منها ائتلف وما تناكر منها اختلف"[3].

أما الجسد فهو أداة إظهار للروح.
لأن الجسد بالنسبة للإنسان ضرورة إظهار.

---

(1) **[صحيح]** وقد تقدم في الذي قبله .
(2) **[صحيح]** أخرجه الحاكم في (المستدرك / 1 / 94) ، وعبد الرزاق في (المصنف / 3 / 580) ، وأحمد في (المسند / 18140) من حديث البراء .
وصححه الشيخ الألباني في (شرح الطحاوية / ص 525) وغيره .
(3) **[صحيح]** أخرجه مسلم في (البر والصلة / بـ الأرواح جنود مجندة / ح 2638) من حديث أبي هريرة .

و إظهار الروح ضرورة في كل أحوالها، ولذلك بين النبي أن الروح في حال نزعها مؤمنة تكفن بحنوط من الجنة، وأن الروح في حال نزعها كافرة تكفن بحنوط من نار.. وأن روح الشهداء في حواصل طير خضر.. فالكفن والطير والجسد القائم بالروح الآن هي مجرد ضرورة إظهار لها.يمكن أن تتغير وتتبدل في أي ظرف من الظروف.
أما الفطرة فهي معيار الحق في كيان الإنسان. مثلما كان العقل أداة إدراك الحق بالنسبة للمخ (أداة التفكير البحت).
وكان القلب الذي هو (اللُب) موضع الإيمان بالنسبة للقلب الذي هو : (مضخة الدم).
وبذلك يكون العقل والقلب والفطرة هي ركائز الربانية في كيان الإنسان.
أما العقل : فقد جاء بعدة معاني :
ـ العقل بمعنى الإدراك من حيث السن:
عن الزهري، عن محمود بن الربيع قال:عقلت من النبي صلى الله عليه وسلم مجة مجها في وجهي، وأنا ابن خمس سنين، من دلو.[1] "البخاري".
وَكَانَ عبد الله بنُ عَمْرٍو يُعَلِّمُهُنّ مَنْ عَقَلَ مِنْ بَنِيهِ وَمَنْ لَمْ يَعْقِلْ كَتَبَهُ فَأَعْلَقَهُ عَلَيْهِ"[2]. "سنن أبى داود".
ـ العقل بمعنى الرشد:
قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: "إذا حج الصبي فهي له حجة حتى يعقل، وإذا عقل فعليه

---

(1) [**صحيح**] أخرجه البخاري في (العلم / بـ متى يصح سماع الصغير / ح 77) من حديث محمود بن الربيع .
(2) [**ضعيف بهذا اللفظ**] أخرجه أبو داود في (الطب / بـ كيف الرقى / ح 3893) من حديث عبد الله بن عمرو ، وقال الشيخ الألباني في (ضعيف أبو داود / 385 / ح 840) :
" حسن دون قوله وكان عبد الله ..... .

حجة أخرى، وإذا حج الأعرابي فهي له حجة، فإذا هاجر فعليه حجة

أخرى"[1] "

ـ العقل بمعنى الوعي (الاستيعاب) :

إنَّ الله بعث محمداً صلى الله عليه وسلم بالحق، وأنزل عليه الكتاب، فكان مما أنزل الله آية الرجم، فقرأناها وعقلناها ووعيناها، رجم رسول الله صلى الله عليه وسلم ورجمنا بعده .[2] "

ـ العقل بمعنى الفهم :

"عن أنس أن النبي كان يعيد الكلمة ثلاثا لتعقل عنه"[3] "

ـ العقل بمعنى الحكمة:

إذا تم عقل المرء قل كلامه وأيقن بحمق المرء إن كان مكثاراً

ـ العقل بمعنى الاتزان :

عَنْ عَبْدِاللَّهِ بْنِ عَمْرٍو قَالَ : [أَتَى النَّبِيَّ - صَلّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - أَعْرَابِيٌّ عَلَيْهِ جُبَّةٌ مِنْ طَيَالِسَةٍ

---

(1) [**صحيح**] أخرجه بن خزيمة في (صحيحه / 4 / 349 / ح 3050) مرفوعا ، وقال : الموقوف صحيح بلا شك .اهـ
قال الشوكاني في (النيل / 4 / 349) : وَقَالَ ابْنُ خُزَيْمَةَ : الصَّحِيحُ مَوْقُوفٌ وَأَخْرَجَهُ كَذَلِكَ . قَالَ الْبَيْهَقِيُّ : تَفَرَّدَ بِرَفْعِهِ مُحَمَّدُ بْنُ الْمِنْهَالِ , وَرَوَاهُ الثَّوْرِيُّ عَنْ شُعْبَةَ مَوْقُوفًا , وَلَكِنَّهُ قَدْ تَابَعَ مُحَمَّدُ بْنُ الْمِنْهَالِ عَلَى رَفْعِهِ الْحَارِثُ بْنُ شُرَيْحٍ , أَخْرَجَهُ كَذَلِكَ الْإِسْمَاعِيلِيُّ وَالْخَطِيبُ , وَيُؤَيِّدُ صِحَّةَ رَفْعِهِ مَا رَوَاهُ ابْنُ أَبِي شَيْبَةَ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ : احْفَظُوا عَنِّي وَلَا تَقُولُوا قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ فَذَكَرَهُ , وَهُوَ ظَاهِرٌ فِي الرَّفْعِ .
وَقَدْ أَخْرَجَ اْبنُ عَدِيٍّ مِنْ حَدِيثِ جَابِرٍ بِلَفْظِ : " لَوْ حَجَّ صَغِيرٌ حَجَّةً لَكَانَ عَلَيْهِ حَجَّةٌ أُخْرَى " وَمِثْلُ هَذَا حَدِيثُ مُحَمَّدِ بْنِ كَعْبٍ الْمَذْكُورُ فِي الْبَابِ , فَيُؤْخَذُ مِنْ مَجْمُوعِ هَذِهِ الْأَحَادِيثِ أَنَّهُ يَصِحُّ حَجُّ الصَّبِيِّ وَلَا يُجْزِئُهُ عَنْ حَجَّةِ الْإِسْلَامِ إذَا بَلَغَ .اهـ
وقد صحح رفعه الشيخ الألباني في تعليقه على (صحيح ابن خزيمة / 4 / 547) .
قلت : ولو كان الصحيح هو وقفه فإنه يأخذ حكم الرفع ، لأن هذا مما لا يقال بالرأي ، والله أعلم .

(2) [متفق عليه] أخرجه البخاري في (الحدود / بـ الاعتراف بالزنا / ح 6829) ، ومسلم في (الحدود / بـ رجم الثيب في الزنا / ح 1691) من حديث عمر بن الخطاب .

(3) [**صحيح**] أخرجه الترمذي في (المناقب / بـ في كلام النبي صلى الله عليه وسلم / ح 3640) من حديث أنس ، وقال الترمذي هذا حديث حسن صحيح غريب اهـ ، صححه الشيخ الألباني في (صحيح الترمذي / 3 / 196 / ح 2879) .

مَكْفُوفَةٌ بِدِيبَاجٍ أَوْ مَزْرُورَةٌ بِدِيبَاجٍ فَقَالَ إِنَّ صَاحِبَكُمْ هَذَا يُرِيدُ أَنْ يَرْفَعَ كُلَّ رَاعٍ ابْنِ رَاعٍ وَيَضَعَ كُلَّ فَارِسٍ ابْنِ فَارِسٍ فَقَامَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مُغْضَبًا فَأَخَذَ بِمَجَامِعِ جُبَّتِهِ فَاجْتَذَبَهُ وَقَالَ أَلا أَرَى عَلَيْكَ ثِيَابَ مَنْ لَا يَعْقِلُ ...][1]

ـ العقل بمعنى التميز :

ويقال للرجل: ما أعقله وما أظرفه وما أجلده، وما في قلبه مثقال حبة خردل من إيمان[2] "

ـ العقل بمعني الشخصية :

قَالَ الْحَسَنُ : [وَاللَّهِ لَقَدْ رَأَيْنَاهُمْ صُوَرًا وَلَا عُقُولَ أَجْسَامًا وَلَا أَحْلَامَ فَرَاشَ نَارٍ وَذِبَّانَ طَمَعٍ يَغْدُونَ بِدِرْهَمَيْنِ وَيَرُوحُونَ بِدِرْهَمَيْنِ يَبِيعُ أَحَدُهُمْ دَيْنَهُ بِثَمَنِ الْعَنْزِ][3] ـ العقل بمعنى الوعي (الإفاقة) :

روى جابر أيضا قال: عادني رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر في بني سلمة يمشيان، فوجداني لا أعقل، فدعا بماء فتوضأ، ثم رش علي منه فأفقت. فقلت: كيف أصنع في مالي يا رسول الله؟ فنزلت "يوصيكم الله في أولادكم"[4] " ـ العقل بمعنى نفي العته :

---

(1) [**مرسل**] أخرجه أحمد في (المسند / (أحمد / ـ 7061) قال حَدَّثَنَا وَهْبُ بْنُ جَرِيرٍ حَدَّثَنَا أَبِي سَمِعْتُ الصَّقْعَبَ بْنَ زُهَيْرٍ يُحَدِّثُ عَنْ زَيْدِ بْنِ أَسْلَمَ عَنْ عَطَاءِ بْنِ يَسَارٍ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو قَالَ أَتَى النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ... فذكره .
قال ابن كثير (التفسير / 3 / 43) : الصَّقْعَبَ بْنَ زُهَيْرٍ تفرد به .
قلت : وقد رواه جمع عن زيد مرسلا ، ولم يوصله سواه . (انظر النصيحة في تهذيب السلسلة الصحيحة / 73) ، ومع ذلك فقد صحح وصله الشيخ الألباني في (الصحيحة / 134) على طريقته في قبول زياد الثقة مطلقا .والله أعلم .

(2) [متفق عليه] أخرجه البخاري في (الرقاق / بـ رفع الأمانة / ح 6497) ، ومسلم في (الإيمان / بـ رفع الأمانة والإيمان من بعض القلوب / ح 143) من حديث حذيفة .

(3) [**حسن إلى الحسن**] أخرجه أحمد في (المسند / 17937) قال حَدَّثَنَا أَبُو النَّضْرِ حَدَّثَنَا الْمُبَارَكُ عَنِ الْحَسَنِ عَنِ النُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ قَالَ : [صَحِبْنَا النَّبِيَّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - وَسَمِعْنَاهُ يَقُولُ إِنَّ بَيْنَ يَدَيْ السَّاعَةِ فِتَنًا كَأَنَّهَا قِطَعُ اللَّيْلِ الْمُظْلِمِ يُصْبِحُ الرَّجُلُ فِيهَا مُؤْمِنًا ثُمَّ يُمْسِي كَافِرًا وَيُمْسِي مُؤْمِنًا ثُمَّ يُصْبِحُ كَافِرًا يَبِيعُ أَقْوَامٌ خَلَاقَهُمْ بِعَرَضٍ مِنْ الدُّنْيَا يَسِيرٍ أَوْ بِعَرَضِ الدُّنْيَا . قَالَ الْحَسَنُ : ...] فذكره .
قلت : وسندهَ للحَسَنِ كما ترى لا يقل عن درجة الحُسْنِ ، والله أعلم .

(4) [**متفق عليه**] أخرجه البخاري في (المرضى / بـ عيادة المغمى عليه / ح 5651) ، ومسلم في (الفرائض / بـ ميراث الكلالة / ح 1616) من حديث جابر بن عبد الله .

عن الحسن، عن علي -رضي الله تعالى عن: أن رسول الله -صلّى الله عليه وسلّم- قال: (رفع القلم عن ثلاث: عن النائم حتى يستيقظ، وعن المعتوه حتى يعقل، وعن الصبي حتى يشب)[1] "المستدرك على الصحيحين".

ـ العقل بمعنى نفى الجنون:

عن ابن عباس -رضي الله تعالى عنهما- قال: أتي عمر -رضي الله تعالى عنه- بامرأة مجنونة حبلى، فأراد أن يرجمها. فقال له علي: أو ما علمت أن القلم قد رفع عن ثلاث: عن المجنون حتى يعقل، وعن الصبي حتى يحتلم، وعن النائم حتى يستيقظ فخلى عنها."[2]المستدرك على الصحيحين".

أما القلب فهو مضغة من الفؤاد معلقة بالنياط . وقد يعبر بالقلب عن العقـــل.

وبنفس التصور يمكن تحديد العلاقة بين القلب والعقل، فعندما يكون القلب في حالة وعى يكون أقرب ما يكون إلى مهمة القلب (التمييز) فيسمى القلب عقلاً (إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ)ق : 37 أي : عقل .

والوظائف المتعددة للقلب هي التسميات المتعددة له أيضاً ...

فالفؤاد : هو الصفة الحسية للقلب..

واللب : هو الصفة المعنوية للقلب..

ومن هنا؛ كان الفؤاد أقرب إلى الحس في تعريفه ووصفه، حتى قيل: إن الفؤاد من التفؤد وهو

---

(1) [**صحيح**] أخرجه أبو داود في (الحدود / بـ في المجنون يسرق أو يصيب حداً / ح 4398) ، الترمذي في (الحدود / بـ ما جاء فيمن لا يجب عليه الحد / ح 1423) ، وابن ماجة في (الطلاق / بـ طلاق المعتوه والصغير والنائم / ح 2051) من حديث عائشة ، وقال الترمذي : هذا حديث حسن غريب ، وصححه الشيخ الألباني في (صحيح ابن ماجة / 1 / 347 / ح 1660) .

(2) [**صحيح**] وقد تقدم في الذي قبله .

التوقد بمعنى الطاقة الحية للقلب، وهو الذي ينطبق عليه قول الله في الكافرين (مُهْطِعِينَ مُقْنِعِي رُؤُوسِهِمْ لا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ وَأَفْئِدَتُهُمْ هَوَاءٌ)
(إبراهيم 37)
فالفؤاد هو الصلة القلبية مع الحواس فهي جزء منه وتعبر عما فيه. ولكونها جزء منه جاء التعبير عن القلب بالفؤاد، ولكونها تعبر عما فيه جاء مقترناً بالحواس كأنه في حال النقل عن القلب يكون من القلب، وفي حال الاتصال بالحواس يكون من الحواس : وَلا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْؤُولاً (الإسراء:(43)
وكما يقال القلب هو الفؤاد، يقال عن النار بسطحها الذي يشوى عليه وهو منها.
وكما يقال القلب غير الفؤاد، يقال عن النار بسطحها الذي يشوى عليه وهو غيرها.
وهذا السطح قد يكون المُلة أو الرماد أو الأرض.

ومن الأدلة الشرعية على أن القلب غير الفؤاد قول رسول الله صلى الله عليه وسلم : " أتاكم أهل اليمن هم أرق أفئدة وألين قلوباً "[1]

ومن الأدلة الشرعية على أن القلب هو الفؤاد قول الله عز وجل :
(وَنُقَلِّبُ أَفْئِدَتَهُمْ وَأَبْصَارَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَنَذَرُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ) (الأنعام : 110)، (وَلا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْؤُولاً) (الإسراء :)

---

(1) [**متفق عليه**] أخرجه البخاري في (المغازي / بـ قدوم الأشعريين وقدوم أهل اليمن / ح 4388) ، ومسلم في (الإيمان / بـ تفاضل أهل الإيمان فيه ورجحان أهل اليمن / ح 52) من حديث أبي هريرة .

أما اللب فهو المعنى الوظيفي الجامع بين العقل و القلب و لذلك كان اللب هو القلب العاقل أي أن اللب هو أداة الاستيعاب القلبي للمعقولات و لذلك ورد في الحديث (عَنْ جندب ابن عبد الله قال كنا مع النبي صلى الله عليه وسلم ـ و نحن فتيان " حزاورة "ـ جمع الحزور وهو الغلام إذا أشتد وقوي ـ فتعلمنا الإيمان قبل أن نتعلم القرآن ثم تعلمنا القرآن فإزددنا به إيماناً)

وكل من اللب والفؤاد يتطابق تماماً مع القلب ولا ينفصل عنه. وما ينطبق على القلب ينطبق على العلاقة بين العقل والمخ، فالمخ هو الصفة الحسية للعقل، ولذلك كانت آثاره حسية..

فيكون اللب أداة إدراك الحقائق المعنوية وأهمها العقيدة، كما كان المخ أداة إدراك الحقائق الحسية وأهمها العمران والدنيا.

و لذلك جاء في تعريف اللب "و ذكرى لأولي الألباب" أي عبرة لذوي العقول.

المستوي الثالث:

ويبدأ بالنفس .

ـ النفس : جملة الشيء وحقيقته ونفس الشيء ذاته و نفس الشيء عينه .

و النفس أنفس ما في الإنسان :وأغلي ما له

ولذلك كانت النفس هي الروح وبينهما فرق أما الفرق بين النفس والروح أنك تقول: إذا نام العبد قبض الله نفسه ولم يقبض روحه. ولا يقبض الروح إلا عند الموت .

فتقول خرجت نفس فلان أي روحه

النفس : الدم، لأن النفس تزول بزواله، ولذلك سمي الدم نفساً سائلة. ومنه قول رسول الله ما

ليس له نفس سائلة فإنه لا ينجس الماء إذا مات فيه[1] قال ابن عبد البر في (التمهيد / 1 / 338) : يعني بالنفس الدم .
والنفس يعبر بها عن الإنسان جميعه.
كما قال ابن عباس : " لكل إنسان نفسان : أحدهما نفس العقل الذي يكون به التمييز، والأخرى : نفس الروح الذي به الحياة "[1].
وسميت نفساً لتولد النفس منها.
ولذلك كانت النفس هي الروع تقول وقع في نفسه أي في روعه
ويمكن التعبير عن النفس بقول : العظمة والكبر. والنفس : العزة. والنفس : الهمة. والنفس : الأنفة.
لدلاله النفس علي الذات .
الذات:
ذات الشيء حقيقته وخاصته، كما في قول الله عز وجل: وَمَنْ كَفَرَ فَلَا يَحْزُنْكَ كُفْرُهُ إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ فَنُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ (لقمان.(23)
بحقيقة الصدور وحقيقة الشيء : خاصته وصاحبه.
(وأصلحوا ذات بينكم)، أي : أصلحوا خاصة بينكم.

---

(1) [**ضعيف**] قال الزيلعي في (نصب الراية / 1 / 180) : الْحَدِيثُ رَوَاهُ الدَّارَقُطْنِيُّ فِي " سُنَنِهِ " مِنْ حَدِيثِ **بَقِيَّةَ** , حَدَّثَنِي **سَعِيدُ بْنُ أَبِي سَعِيدٍ الزُّبَيْدِيُّ** عَنْ بِشْرِ بْنِ مَنْصُورٍ عَنْ عَلِيِّ بْنِ زَيْدِ بْنِ جُدْعَانَ عَنْ سَعِيدِ بْنِ الْمُسَيِّبِ عَنْ { سَلْمَانَ , قَالَ لَهُ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم : يَا سَلْمَانُ كُلُّ طَعَامٍ وَشَرَابٍ وَقَعَتْ فِيهِ دَابَّةٌ لَيْسَ لَهَا دَمٌ فَمَاتَتْ فِيهِ فَهُوَ حَلَالٌ أَكْلُهُ وَشُرْبُهُ وَوُضُوءُهُ } , انْتَهَى . قَالَ الدَّارَقُطْنِيُّ : لَمْ يَرْوِهِ غَيْرُ بَقِيَّةَ عَنْ سَعِيدِ بْنِ أَبِي سَعِيدٍ الزُّبَيْدِيِّ , وَهُوَ ضَعِيفٌ انْتَهَى . وَرَوَاهُ ابْنُ عَدِيٍّ فِي " الْكَامِلِ " وَأَعَلَّهُ بِسَعِيدٍ هَذَا وَقَالَ : هُوَ شَيْخٌ مَجْهُولٌ , وَحَدِيثُهُ غَيْرُ مَحْفُوظٍ انْتَهَى . اهـ
قلت : والحديث وإن كان ضعيفا ، ولكن الاستشهاد به في هذا الموطن صحيح ، لأن الحديث يبين معنى لغوي ؛ فإن كان المعنى اللغوي يظهر من خلال كتب اللغة التي ليس بن مؤلفيها وبين العرب الفصحاء سند في الغالب ، فيكون الاستدلال على معنى لغوي بالحديث الضعيف الذي بيننا وبينه سند ، ولكنه ضعيف من باب أولى ، والله أعلم .
(1) لم أقف عليه .

الشخصية:

هي المرأى للإنسان أو سواد الإنسان وغيره تراه بعيداً، وكل شيء رأيت جسمانه فقد رأيت شخصه.

والشخص : كل جسم له ارتفاع وظهور.. شخص : (ظَهُرَ - عَظُمَ - انبرى).

الشخصية : لكن الشخصية هي المحصلة النهائية للعلاقة بين الذات والواقع، وهذا يعني أن تجتمع في الشخصية مقتضيات الذات الخاصة : (العقل والقلب والروح).

وعند افتقاد الشخصية مقتضيات الذات تصبح صورة لا معنى لها كما في قول الله : وَإِذا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ وَإِنْ يَقُولُوا تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُسَنَّدَةٌ يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرْهُمْ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أنى يُؤْفَكُونَ المنافقون :4).

وقول القائل "رأيناهم صوراً لا عقل لها"

ومن هذه الآية تتحدد عناصر الشخصية.

فالخشب لا حياة فيه ولا روح كالتي في الشجر.

والخشب لا جذور له ولا ثبات كالذي للشجر.

والخشب لا صورة له ولا منظر كالذي للشجر.

فالشخصية روح وموقف وصورة حية ثابتة.

****

ولكن التحليل العام المثبت لتوجه النفس نحو الذات، وتوجه الذات نحو خالقها، يتبعه تحليلات فرعية متعلقة بالعلاقة بين جميع جوانب النفس بصورة مباشرة، ولكن اتجاه كل مستويات التعريف نحو الذات ينشأ عنه حقيقة تحليلية ثانية، وهي وحدة الكيان الإنساني تحليلياً كما سنرى إن شاء الله.

ومعنى اتجاه عناصر التكوين الإنساني النفسي للذات، فذلك لأن الذات هي الصورة الحقيقية النهائية المعبرة عن كل هذه العناصر.
إذن فالظهور هو نتيجة من نتائج الاتجاه النفسي نحو الذات.

ولذلك نجد التكوين النفسي يحاول الظهور من خلال الصورة الذاتية مثل الوضاءة في وجه المتعبد كما في قوله تعالى (مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعاً سُجَّداً يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَاناً سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْراً عَظِيماً)الفتح : 29).

ومثل فلتات اللسان التي قال الله فيها عن الكافرين :(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا بِطَانَةً مِنْ دُونِكُمْ لا يَأْلُونَكُمْ خَبَالاً وَدُّوا مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ ۖ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الآيَاتِ إِنْ كُنْتُمْ ۖ تَعْقِلُونَ آل عمران : 118).
و مثل ظهور الحب في العينين كما قيل : والصب تفضحه عيونه.

وبصفة عامة فإن القلب هو المحرك لكل العناصر التكوينية في اتجاهها إلى الذات.كما قال النبي صلى الله عليه وسلم :(أَلاَ وَإِنَّ حِمَى اللَّهِ تَعالى مَحَارِمُهُ،أَلا وَإِنَّ في الجَسَدِ مُضْغَةً إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الجَسَدُ كُلُّهُ، وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الجَسَدُ كُلُّهُ أَلاَ وَهِيَ

القَلْب)[1].
ولكن للقلب مع العقل علاقة تبادلية.. تختلف بين إنسان وآخر.
فمن الناس من يبدأ قلبه بالتأثير على العقل (وهو شخص وجداني).
ومنهم من يبدأ عقله بالتأثير في القلب (وهو الشخص العقلاني).
لكن السلوك النهائي ناتج عن العلاقة الأساسية (التبادلية) بين القلب والعقل.
أما الروح فهي تابعة للذات في أعمالها، ولذلك كان منها الروح الطيبة والروح الخبيثة.
أما اتجاه الذات الإنسانية نحو الله سبحانه وتعالى فتنشأ عنه حقيقة تحليلية ثالثة وهي الفطرة.
ومن الإطار العام لتعريف الإنسان بعناصره التسعة يمكن استنباط عدة حقائق :

- الأولى : أن الروح هي أصل الإنسان والنفس أقرب معاني الروح في الإنسان.
وأن الروح هي أصل الإنسان فلا يمكن أن تكون موضع تفكير مجرد لأننا نلتزم فيها بالنصوص الواردة على ظاهرها لأن التفويض في العلم بها إلي الله .
(وَيَسْأَلونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْر رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلّا قَلِيلاً) (الإسراء)
لما تقرر أن الروح هي أصل الإنسان بكل تسمياته؛
كانت الروح هي الجانب الرباني للجسد، وتسمى عندئذ فطرة
وهي الجانب الرباني للمخ، وتسمى عندئذٍ عقلاً.

---

(1) [**متفق عليه**] أخرجه البخاري في (الإيمان / بـ فضل من استبرأ لدينه / ح 52) ، ومسلم في (المساقاة / بـ أخذ الحلال وترك الشبهات / ح 1599) من حديث النعمان بن بشير .

والروح هي الجانب الرباني لمضخة الدم وتسمى عندئذٍ القلب.

- الثانية : فشل التسمية المتعلقة بالفرق بين القلب (الذي نحب به ونكره) ومضخة الدم (البطين والأذين)
وكذلك فإن القلب عندما يكون أقرب إلى الحواس يسمى عندئذٍ فؤاداً.
وعندما يكون أقرب إلى العقل يسمى عندئذٍ لُباً.
وهذا يعني أن التسميات الوظيفية هي الغالبة على التسميات العضوية في فهم الإنسان

- الثالثة : أن اختلاف التسمية بالاعتبار الوظيفي لا يمنع تحقق وحدة الكيان الإنساني، فالإنسان نفسياً وحدة كيانية واحدة.. إن علاقة كل عضو فيه وكل وظيفة له مرتبطة ببعضها ارتباطاً وحدوياً. فالعلاقة بين الروح والقلب في الحب والكره تأتي من الروح، كما قال الأرواح جنود مجندة ما تعارف منها ائتلف وما تناكر منها اختلف "[1]

فالاتفاق القلبي أثر التعارف الروحي،والاختلاف القلبي أثر الاختلاف الروحي.

وكذلك القلب والمخ...

فعندما تكون الوظيفة هي الهداية الحسية يكون المخ هو ⊢الأداة..

وعندما تكون الوظيفة هي⊢ الهداية الربانية يكون القلب و العقل هما الأداة..

فالإنسان يستطيع أن يصل القمر بمخ سليم فقط

---

(1) [**صحيح**] أخرجه مسلم في (البر والصلة والآداب / بـ الأرواح جنود مجندة / ح 2638) من حديث أبي هريرة .

فإذا لم يصل إلى وحدانية الله لا يكون عاقلاً

ولكن تجانس حقيقة الهداية في الحالتين جعل شرط صواب المخ شرطاً للهداية إلى الله... بجانب شرط صواب العقل.

{ أَهَكَذَا عَرْشُكِ} (النمل: من الآية 42)

فأجابت أمثل إجابة فقالت: { كَأَنَّهُ هُوَ } (النمل: من الآية 42)

ولم تقل هو لأنه منكَّر ولم تقل ليس هو لأنه هو.

فأدخلها في التجربة الثانية وكانت لإسقاط الغرور عن نفسها: {قيل لها ادخلي الصرح فلما دخلته حسبته لجَّة وكشفت عن ساقيها قال إنه صرح ممرَّدٌ من قوارير قالت رب إني ظلمت نفسي وأسلمت مع سليمان لله ربِّ العالمين} [النمل: 44].

وبإثبات الذكاء وإسقاط الغرور تمت الدعوة للملكة وعندئذ قالت: {وأسلمت مع سليمان لله رب العالمين } [النمل: 44].

ولذلك أدخل سليمان ملكه سبأ في تجربتين كانت الأولي لإثبات ذكائها وهي تجربة تنكير العرش ... قال (نكروا لها عرشها لتنظر أتهتدي أم تكون من الذين لا يهتدون .)

الرابعة أن الذات هي محور عناصر التعريف بالإنسان.

ولذا كانت الذات هي محور الدراسة النفسية.

وهذه النتيجة واضحة وببساطة بمجرد مراجعة المستويات الثلاثة بعناصرها الثلاثة :

المستوى الأول :(الخلق): الذي يناقش الآثار المترتبة على خلق الإنسان وارتباطه بمادة خلقه.

والمستوى الثاني :(المضمون):الذي يناقش الآثار المترتبة على العلاقة بين حقائق كيان الروح والقلب والعقل ـ فكان الأول كالمقدمة للثاني.

والمستوى الثالث :(القيمة): وهو الجامع لكل عناصر المستويين الأول والثاني.

النفس الجامعة للروح والقلب والعقل و الذات المتضمنة لحقيقة النفس الخاصة لكل إنسان بصفته الفردية .

وبذلك تصبح النفس هي باطن الذات المحدد لصورتها في المجتمع و المكونة للشخصية.

وبذلك تكون الذات هي المعنى الجامع للإنسان. وهذا المعنى الجامع هو الذي سيصل بنا إلى الإجابة على هذا التساؤل الهام : كيف نفهم الإنسان ؟